

المحاضرة الاولى:

تمهيد:

إن الإنسان كائن اجتماعي، يعيش في جماعة يتأثر بها ويؤثر فيها، من خلال عملية مستمرة من التفاعل وهذا منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا، فالإنسان في حياته الاجتماعية يقوم بتنظيم تفاعلاته مع الآخرين، من الأسرة والأقارب والجيران، ومجتمعه الكبير المتغير، وتستمر هذه الدائرة في الاتساع حتى تصل للعالم كله، وفقا لرؤاه الخاصة التي تأتي من منظومة القيم التي ينشأ في ظلها، وتتأثر هذه المنظومة القيمية ليس بالحياة الشخصية فحسب، بل إنها تتبع من منظومة القيم العامة الراسخة في المجتمع، التي تقوم على أساس الاعتقاد السائد في المجتمع والذي نتج عن عوامل الدين والثقافة، والتاريخ وأثر على عوامل أخرى كالاقتصاد والتربية وغيرها، فعلم الاجتماع هو الدراسة العلمية للعلاقات التي تقوم بين الناس وما يترتب على هذه العلاقات من آثار مختلفة، وعلم الاجتماع من أكثر الدراسات الاجتماعية جذبا للناس، ولكنه ليس أسهلها ولا أبسطها في الدراسة، ذلك أن العلاقات الإنسانية التي تمثل موضوعا لهذا العلم تتصف بدرجة كبيرة من التعقيد والتغير المستمر، ولهذا السبب تنوعت المدارس الفكرية واختلفت سواء حول تقديم تحديد جامع مانع لعلم الاجتماع، أو في مسألة تحديد مجالاته وميادين الدراسة فيه، ما أدى إلى تعددها واختلافها.

I-الميادين المبكرة (عند بعض الرواد الأوائل) لعلم الاجتماع:

إن تعيين حدود أي علم من العلوم يعتبر أمرا ضروريا كأساس لبدء الانتقال بهذا العلم، حتى ولو كان هذا التحديد مؤقتا، وحتى ولو اتضح أنه ليس سوى موجه

عام على المدى البعيد، رغم اقتناعنا بأن أية محاولة لوضع حدود صارمة بين ميادين العلوم المختلفة هو جهد عقيم، يصطدم من جهة بكون حدود هذه العلوم متداخلة عمليا، وهذا ناجم عن كون الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة كلية وموحدة، وأن تمايز عناصرها (الاقتصادي، السياسي، السيكولوجي، الثقافي، القانوني) إنما هو تمايز في إطار هذه الوحدة وهذه الكلية، ومن جهة أخرى فإن العلوم الاجتماعية قد نشأت ويمكن أن تتشأ باستمرار من بعضها بعضا، وأن بعضها يمكن أن يختفي حالما تنتفي الضرورة التي استدعت نشوءه¹، فمثلا إن الأنثروبولوجيا سوف تنتهي بانتهاء الشعوب البدائية وسوف تتحل وتندمج في علم الأقياع، وعلم الاجتماع البدوي سوف ينقرض بانقراض موضوعه وهو البدو، كما أن علم الاجتماع الصناعي ما كان لينشأ لولا نشأة الصناعة، ومع ذلك وجبت علينا المحاولة لتحديد مختلف هذه العلوم أو بالأحرى التخصصات العلمية المندرجة تحت غطاء علم الاجتماع العام، وخاصة في الجانب المنهجي والمفاهيمي لها.

١- ميادين علم الاجتماع عند "ابن خلدون":

في ظل البحث الطويل "لابن خلدون" في شؤون الاجتماع الإنساني، أسس علمه الجديد، الذي لم يسبقه إليه أحد من قبل، حيث كان أبرز ما انتهى إليه هو خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة كغيرها من ظواهر الطبيعة، ودراسة ظواهر الاجتماع الإنساني هي موضوع علمه الجديد، علم العمران البشري، وعليه فدراسة الظواهر الاجتماعية لا يكون لمجرد وصفها، أو الدعوة إليها، أو لبيان ما هي عليه، أو ما ينبغي أن تكون عليه، وإنما دراستها وتحليلها بشكل يؤدي إلى الوصول إلى طبيعتها وعوامل قيامها والقوانين التي تخضع لها، وذلك لا يتأتى إلا بالافتتاح بأن الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الأهواء والمصادفات، حيث يقول "ابن خلدون" في هذا السياق: "...وكان هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران

¹ محمد أحمد الزعبي: علم الاجتماع والبلدان النامية، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩١، ص ٣٣.

البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وصفيا كان أو عقليا...^٢.

وعليه فعلم الاجتماع عند "ابن خلدون" هو العلم الذي يدرس المجتمع البشري، وما يلحقه من العوارض، وإيماننا منه بأن ظواهر المجتمع الإنساني على درجة من التعقيد فقد قام بتصنيفها، قبل أن يقوده ذلك إلى تصنيف مجالات الدراسة في علم الاجتماع وذلك كما يلي^٣:

أ- من حيث وظائفها: أي من حيث الأغراض التي ترمي إليها، والنواحي التي تقوم بتنظيمها، وهنا نجد الأنواع التالية:

-النظم العائلية: وتتعلق بشؤون الأسرة، وما يربط أفرادها من علاقات أو ما يربطهم بغيرهم، إضافة إلى حقوق كل واحد منهم وواجباته.

-النظم السياسية: وتتعلق بشؤون الحكم في الدولة، والتنسيق بين سلطاتها، وتحديد صلاحيات ومهام كل سلطة.

-النظم الاقتصادية: وتعني بشؤون الثروة في المجتمع، وما يتعلق بكيفية وطريقة إنتاجها وتداولها وتوزيعها واستهلاكها.

-النظم القضائية: تهتم بشؤون القضاء والتقاضي.

-النظم الخلقية: وتهتم بالتمييز بين الفضيلة والرذيلة، والخير والشر، وأنماط السلوك الواجب امتثالها في المجتمع، وما يتعلق بها من أخلاق وآداب عامة.

-النظم الدينية: وتتعلق بالعقائد، وفهم العالم القدسي.

-النظم اللغوية: وتتعلق بطريقة التفاهم بين الأفراد في المجتمع ونقل أفكارهم.

-النظم التربوية: وتتعلق بالطرق التي يستخدمها المجتمع في تكوين الجيل الناشئ وإعداده للحياة المستقبلية.

^٢ محمد علي محمد: تاريخ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، سنة ١٩٨٤، ص ١٧٥.

^٣ حسن الساعاني: علم الاجتماع الخلدوني -قواعد المنهج-، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٨٦، ص ص ٣٧-

-النظم الجمالية: أي النظم التي يرسمها المجتمع في شؤون الجمال، ومظاهر الفن من شعر وأدب وغناء ونحتٍ الخ.

ب-من حيث التفكير والعمل: وتنقسم إلى قسمين:

-قواعد تشرف على التفكير الإنساني: إذ يتوجب على المجتمع تحديد القوالب التي ينبغي على الأفراد أن يوجهوا تفكيرهم نحوها.

-قواعد تشرف على العمل الإنساني: كالقاعدة التي توجب على المسلم الصلاة والصوم وغيرها.

ج-من حيث استقرارها وتطورها: وتنقسم كذلك إلى قسمين، نظم ثابتة وأخرى مستقرة، أو كما سمي في العصر الحديث: الديناميكا الاجتماعية والستاتيكا الاجتماعية، علما أن "ابن خلدون" درسها دون الفصل بينهما كما فعل "أوجست كنت".

ومن خلال أنواع الظواهر الاجتماعية التي حددها "ابن خلدون"، أكد على اتساع مجال الظواهر الاجتماعية وشموليتها ما جعله يقسم علم العمران البشري (علم الاجتماع) إلى أبواب أو فروع أو ميادين، وذلك في أبواب المقدمة بالشكل التالي^٤:

-الباب الأول: في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض.

-الباب الثاني: في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية.

-الباب الثالث: في الدولة والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية.

-الباب الرابع: في العمران الحضري والبلدان والأمصار.

-الباب الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه.

-الباب السادس: في العلوم واكتسابها وتعلمها.

ويقابل هذه الأبواب في العصر الحديث، التخصصات التالية:

^٤عبد الله عبد الرحمان: تطور الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، بدون سنة، ص ٧٥-٧٦.

- علم الأيكولوجية: والذي يهتم بدراسة أثر البيئة الجغرافية على الإنسان وطريقة تكيفه معها.

- علم المجتمعات البسيطة أو علم الاجتماع البدوي أو علم الاجتماع الريفي.

- علم الاجتماع السياسي.

- علم الاجتماع الحضري أو علم اجتماع المدينة.

- علم الاجتماع الاقتصادي أو علم الاجتماع الصناعي.

- علم اجتماع المعرفة.

٢- ميادين علم الاجتماع عند "أوجست كنت":

منذ نشأة علم الاجتماع، ظهر اهتمام "أوجست كنت" بتحديد مجالات وميادين الدراسة في علم الاجتماع، حيث حددها في قسمين^٥:

أ- **الديناميكا الاجتماعية:** وتدرس الاجتماع الإنساني في جملته ومن ناحية تطوره، فهي تمتاز بخاصيتين أساسيتين، الأولى أنها لا تدرس كل خاصية على حدى وإنما تدرس المجتمع الإنساني في عمومها بغض النظر عن تفاصيل الأمور، والخاصية الثانية هي دراسة الاجتماع الإنساني من ناحية تطوره أي بغرض الكشف عن القوانين التي يسير عليها هذا الاجتماع في عملية انتقاله من حال إلى حال.

ب- **الستاتيكا الاجتماعية:** وتدرس الاجتماع الإنساني في تفاصيله ومن ناحية استقراره، بدراسة كل مجموعة من النظم على حدى، ودراسة هذه الأمور من ناحية استقرارها، لا من ناحية تطورها كما تفعل الديناميكا الاجتماعية أي أنها ترمي إلى شرح الأجزاء والعناصر التي تتألف منها الظواهر والوظائف التي تقوم بها، وعلاقة هذه العناصر والوظائف بعضها ببعض، وكون هذا التحديد عند "أوجست كنت" يتناول أبعاد علم الاجتماع أكثر من توضيح مجالات علم الاجتماع، جعل إميل دوركايم من بعده يقدم تحديدا أكثر دقة لهذه المجالات.

^٥ عبد الله شلبي: علم الاجتماع -الاتجاهات النظرية والإستراتيجية البحثية-، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ٢٠١٢، ص ٧١-٧٤.

٣- ميادين علم الاجتماع عند "إميل دوركايم":^٦

أشار "إميل دوركايم" أكثر من مرة إلى ما أطلق عليه الفروع الخاصة بعلم الاجتماع وأنه كان يحبذ ازدهار هذه الفروع ونموها على نطاق كبير، وأنه أكد على أن علم الاجتماع لا يستطيع أن يصبح علماً إلا إذا تخلى عن دعواه الأولى في الدراسة الشاملة للواقع الاجتماعي كله، وقد أيد "دوركايم" البدء في علم الاجتماع بالمرحلة التي سماها "كونت" مرحلة التخصص، كما أيد "دوركايم" فكرة أن علم الاجتماع يجب أن يختص بطائفة واسعة من النظم والعمليات الاجتماعية، عندما أشار إلى أن علم الاجتماع شأنه شأن الكثير من العلوم الاجتماعية، له من الفروع بقدر التنوع الموجود في الظاهرة الاجتماعية، ومع هذا الإصرار على التقسيمات الفرعية للعلم فإنه كان يصف علم الاجتماع بأنه علم دراسة المجتمعات، وعليه وضع "دوركايم" الأقسام الرئيسية لعلم الاجتماع بالشكل التالي:

- علم الاجتماع العام: ويتضمن قسماً فرعياً عن الشخصية عند الفرد وعند الجماعة.

- علم الاجتماع الديني.

- علم الاجتماع القانوني والأخلاقي: ويتضمن أقساماً فرعية عن التنظيم السياسي

- التنظيم الاجتماعي: الزواج والأسرة.

- علم الاجتماع الجنائي.

- علم الاجتماع الاقتصادي: ويتضمن أقساماً فرعية عن قياس القيمة، الجماعات المهنية.

- علم الاجتماع الجمالي.

حيث عرض "إميل دوركايم" تبويبه لعلم الاجتماع في بحث معنون ب: علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية مقسماً للفروع التي سبق ذكرها في شكل أقسام، كل قسم يتضمن عدة فروع.

^٦ عبد الحميد لطفى: علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨١، ص ٢١٤-٢١٦.

٤-ميادين علم الاجتماع عند "بتريم سوروكين"^٧:

يتضمن علم الاجتماع عند "بتريم سوروكين" قسمين أساسيين، هما علم الاجتماع العام، والعلوم الاجتماعية الخاصة، بحيث يختص علم الاجتماع العام بدراسة الخصائص المشتركة بين الظواهر الاجتماعية، والثقافة من حيث جوانبها البنائية، والدينامية، وما بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الكونية من علاقات متبادلة، وينقسم علم الاجتماع العام بدوره إلى قسمين، علم الاجتماع النبائي، وعلم الاجتماع الدينامي، ففيما يتعلق بتوسيع فروع علم الاجتماع، فقد قدمت المدارس الاجتماعية إسهامات متنوعة، فالمدرسة الفرنسية قدمت دليل عمل هذه الفروع، وقدمت المدرسة البريطانية علم الاجتماع المعرفي، كفرع أساسي من فروع علم الاجتماع على يد "كارل مانهايم" أما المدرسة الأمريكية فقد أضافت علم الاجتماع الحضري وعلم الاجتماع الريفي وعلم الاجتماع التنظيمي.

II-علم اجتماع التنمية:

١-نشأته:

نشأ علم اجتماع التنمية كاستجابة للتغيرات المفاجئة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في أوروبا، تحديدا في ستينات القرن العشرين، ثم تطور ونما التخصص في غربي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك كرد فعل إزاء فشل الكثير من الدراسات المتخصصة في السياسات التنموية، والتي كانت تقتصر على الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية للمجتمع، حيث أن مسألة تحسين المستوى المعيشي والوصول بالمجتمعات إلى درجة الرفاه الاجتماعي كلها أفكار سيطرت على عدد من المفكرين الغربيين، بسبب الآثار الناجمة عن الحرب العالمية الثانية، من زيادة في السكان وارتفاع معدلات البطالة، وغيرها، ما وجه البحث السوسيولوجي إلى الاهتمام بما يحدث في المجتمعات الغربية، وما ساعد على ذلك التطور الحاصل في تقنيات البحث العلمي وخاصة دراسات المسح الاجتماعي، بما توفره من بيانات

^٧عبد الحميد لطفي: مرجع سابق، ص ١٩٤.

إحصائية، حول تخلف الشؤون الداخلية للمجتمع وخاصة تلك المتعلقة بالنمو والتنمية^٨.

وتعتبر إسهامات كبار العلماء، أمثال "كارل ماركس"، "دوركايم" و"ماكس فبر" بمثابة القاعدة النظرية التي رسمت الطريق لغيرهم من علماء اجتماع التنمية من بعدهم، كونها شكلت في جانب منها تصورا نظريا وإمبريقيا لعملية التغيير الاجتماعي، والتطور التاريخي للمجتمعات البشرية، وبالتالي تصورا لآليات حدوث التنمية الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، فظهرت العديد من المحاولات التنظيرية في الغرب، تناقش قضايا التقدم والتخلف، من منطلقات أيديولوجية متباينة، بحسب الاختلافات الموجودة في المدارس النظرية السوسيولوجية العامة.

٢- موضوعه:

إن علم اجتماع التنمية، هو أحد الفروع الحديثة النشأة من علم الاجتماع العام، يضطلع بدراسة الظاهرة التنموية بما تتضمنه من قضايا، التخلف والتقدم وغيرها، مستخدما مفاهيم ونظريات ومناهج علم الاجتماع العام.

وانطلاقا من مجال اهتمامه (التنمية) فإن هذه الأخيرة، تعني عملية تغيير واع، يحدث في المجتمع، من خلال المشاركة بين جهود الحكومة والمواطنين، بهدف الاستفادة من كافة الموارد المتاحة في المجتمع، وتحقيق الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية وفي كل المجالات الحياتية، ويكون ذلك وفق خطة مرسومة^٩، وللتنمية عدة جوانب، سياسية، اقتصادية، ثقافية واجتماعية.

٣- نظرياته:

انطلاقا من القاعدة السوسيولوجية العامة، ظهرت نظريات محدثة في علم الاجتماع، عملت على معالجة قضايا التنمية والتخلف أبرزها:

^٨ عبد الرحيم تمام أبو كريشة: دراسات في علم اجتماع التنمية، ط٣، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، سنة ٢٠٠٣، ص ١٢.

^٩ إحسان حفطي: علم اجتماع التنمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، سنة ٢٠٠٦، ص ٣٣.

أ-نظرية مراحل النمو الاقتصادي^{١٠}: لصاحبها "ولت روستو"، الذي حاول أن يقدم بديلا رأسماليا للنظرية الماركسية في كتابه: مراحل النمو الاقتصادي-البيان اللاشيوعي-، حيث حاول إعطاء صورة عن تطور المجتمعات البشرية التي يمكن أن ينسب أي مجتمع من حيث مستوى تطوره الاقتصادي إلى إحدى المراحل الخمس:

-المجتمع التقليدي.

-المجتمع الانتقالي.

-مرحلة الانطلاق.

-مرحلة النضج.

-مرحلة الاستهلاك الوفير.

وبطبيعة الحال المرحلة الخامسة هي صورة المجتمعات الرأسمالية المتطورة، وتختلف المجتمعات الأخرى مرده إلى تواجدها في مرحلة ما دون أخرى كونها مسألة وقت فحسب والوصول إلى التطور والتقدم لا يكون إلا وفقا، للمسار الرأسمالي الذي سبق وانتهجته الدول الرأسمالية الغربية على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

ب-النظرية الانتشارية الثقافية الحضرية^{١١}: وانطلقت هذه النظرية من فكرة مؤداها أن التنمية هي شكل من أشكال التغير الاجتماعي، تتم بواسطة الانتشار الثقافي من المركز، باتجاه المحيط، بمعنى أن حل مشكلة تخلف البلدان النامية يكمن في الانتشار لتلك الصفات النموذجية الثقافية من المركز (الغرب) باتجاه المحيط (البلدان النامية).

^{١٠} إسماعيل قيرة وعلي غربي: في سوسيولوجية التنمية، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

سنة ٢٠٠١، صص ١٣-١٤.

^{١١} المرجع السابق، ص ١٥.

ج- النظرية السلوكية^{١٢}: نظرية متأثرة بالاتجاه البنائي الوظيفي، مؤكدة على أن التنمية ترتبط بتوجهات الأفراد، من ناحية القيم، والسلوك، والحوافز، وعليه فالأبعاد السيكولوجية-السلوكية، ترتبط بتغيير الأفراد، وهذا هو السبب الذي دفع بممثلي هذه النظرية أمثال: "ماكلياند" و"هيجن" إلى تأكيد أهمية هذه الجوانب السيكولوجية في صنع دعامة أساسية للتنمية الاقتصادية، وبغيابها يحدث العكس.

د- نظرية التبعية^{١٣}: القضية الأساسية في تحليلات نظرية التبعية، هي أنه لا يمكن فهم طبيعة النظم الاقتصادية، السياسية والاجتماعية في البلدان المتخلفة بمعزل عن تأثيرات العوامل الخارجية وخاصة تلك الحاصلة بسبب التوسع الرأسمالي، حيث ركزت هذه النظرية على إسهام العوامل الخارجية والتاريخية في صنع التخلف وإعادة إنتاجه، حيث يحدث بسبب اتصال البنية الاقتصادية للدول المتقدمة بتلك الموجودة في الدول المتخلفة، ما يؤدي إلى تحلل هذه الأخيرة واستنزاف فائضها بواسطة رؤوس الأموال الأجنبية، وعليه فلا تنمية بدون قطع علاقات التبعية بين العالمين المتقدم والمتخلف، وأهم روادها: "فرانك"، "كاردوزو"، "سانتوس" و"سمير أمين".

III- علم اجتماع التنظيم والعمل:

١- نشأته:

ظهر علم اجتماع التنظيم والعمل كعلم مستقل في بداية القرن العشرين وذلك بعد انتشار معالم الثورة الصناعية وظهور التصنيع، التي بدأت في إنجلترا وانتقلت إلى دول أوروبا الغربية كألمانيا وفرنسا ثم كافة أرجاء العالم كأمریکا الوسطى والشمالية وأوروبا الغربية والشرقية والأقطار الآسيوية والإفريقية.

^{١٢} مريم أحمد مصطفى عبد المجيد: التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٨٧، ص ١١٣.

^{١٣} عبد الخالق عبد الله: التبعية والتبعية السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٦، ص ٥٨.

فالثورة الصناعية في هذه الأصقاع من العالم غيرت مهن وأنماط المعيشة وأساليب الحياة للمجتمعات التي دخلت فيها فحسب بل غيرت أيضا تركيب سكانها وتوزيعهم الجغرافي والمهني والاجتماعي.

حيث تزايدت أهمية الأنشطة الصناعية مقابل الأنشطة الزراعية، ففي عام ١٨٥١ كانت نسبة السكان الذين يشتغلون بأعمال الزراعة والصيد في بريطانيا ٢٢% ثم انخفضت هذه النسبة إلى ٨% عام ١٩١١، ٥% عام ١٩٥١ وهي الآن ٤%.

ونتيجة لما أحدثته هذه الثورة من تطورات وتقدم وازدهار، اعتمدت الصناعة على الموارد المادية من طاقة وآلات وتطبيق الأساليب التكنولوجية في الصناعة ورأس المال، وارتفاع نسبة الإنفاق على البحوث العلمية والمواد البشرية ومنح فرص أوسع للعمالة أمام القوى العاملة الماهرة على وجه الخصوص. وأمام الإداريين الذين يقومون بأمر الصناعة وتنظيم عملية الاستفادة منها من أجل تحقيق الإنتاج الصناعي، وذلك كله من خلال ظهور المصنع كوسيلة حديثة في تنظيم الاستفادة من عناصر الإنتاج الصناعي المادية والبشرية.

من خلال هذه التحولات نتجت مشكلات إنسانية وأمراض اجتماعية أخلت بالنظام الاجتماعي وعرقلت عملية تكيف الإنسان لمجتمعه الحديث كان لابد من ظهور علم جديد يدرس الأسباب الإنسانية والحضارية لعمليات التصنيع ويدرس في ذات الوقت النتائج التي تتمخض عنها ظاهرة الصناعة والتصنيع ومدى تأثيرها على بنى ومؤسسات المجتمع وهذا العلم الجديد الذي يتخصص في هذا النمط من الدراسة هو علم الاجتماع التنظيم والعمل.

فعلى هذا النحو أخذت دراسات علم الاجتماع التنظيم والعمل تسير بخطى ثابتة وسريعة عام ١٩٤٠ وخاصة بعد أن اتجه الباحثون إلى الدراسة السوسولوجيا داخل المصنع، ففي عام ١٩٤٦ ألف (ولبرت مور) كتابا بعنوان المجتمع الصناعي والنظم الاجتماعية، وفي نفس السنة ظهر كتاب (وليم هويت) بعنوان الصناعة والمجتمع.

وفي الوقت الحاضر نجد أن علم الاجتماع التنظيم والعمل قد أصبح يدرس في الجامعات في كثير من أقطار العالم، ومن الأمثلة على ذلك نذكر الولايات المتحدة الأمريكية، إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، هولندا، مصر والجزائر^{١٤}.

٢- تعريفه:

إن تعريفات علم الاجتماع التنظيم والعمل متعددة سوف نتطرق لبعض منها:
لقد عرفه سميث **Smith** بأنه "دراسة العلاقات الاجتماعية داخل المصنع والمنظمات إلى جانب دراسة التأثير المتبادل بينها وبين المجتمع المحلي".
وجاء في قاموس علم الاجتماع الذي أعده ميتشل **Mitchell** أنه "تحليل للنظم الصناعية والتنظيمات، ولللاقات فيما بينها وكذلك للعلاقات بين الظواهر الصناعية والنظم في المجتمع الأكبر".

أما تعريف شالس سبولدينج **Spaulding** فيعتبره "دراسة للتنظيم الاجتماعي للمصنع والمتجر أو لأي مهنة أخرى، وللتفاعلات بين من يشغلون الأدوار داخله، ولللاقات التي تربط بين أدوارهم في العمل وبين غيرها من جوانب حياتهم".

وفي تعريف آخر قدمه جيسبرت **Gisbert** هو "العلم الذي يدرس العوامل الاجتماعية والتفاعلية ويهتم بالعلاقات الإنسانية والصناعية، وبالتنظيم الرسمي أو الغير الرسمي، وفريق العمل، والاتصال^{١٥}".

بينما نجد في المقابل كل من ميشيل سيرينا **M.Cerenia** الذي يعرف علم الاجتماع التنظيم والعمل بأنه هو ذلك العلم الذي يدرس الجوانب الاجتماعية للمشروع الصناعي باعتباره جزءا في الاقتصاد القومي، ونسقا اجتماعيا اقتصاديا له بناؤه الداخلي، ويؤدي وظائف اقتصادية واجتماعية، ويلعب دورا في تغيير البناء الاجتماعي الأكبر.

^{١٤} طلعت إبراهيم لطفي: علم الاجتماع التنظيم، دار غريب، القاهرة، مصر، سنة ٢٠٠٧، ص ١٧-١٨.

^{١٥} حسين عبد الحميد أحمد رشوان: علم الاجتماع الصناعي، المكتب الجامعي الحديث، مصر، سنة ٢٠٠٥، ص ٦٢-٦٣.

أما بالنسبة كولبينسكا **Kulpnska** وتوبرا **Topera** فيعرفانه على أنه: "هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الطبقة العاملة وظروف حياتها وعلاقتها بالتغيرات التي تعترى بناؤها ودورها في النسق الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وعلاقتها بالطبقات الاجتماعية الأخرى، ومشاركتها في الإدارة هذا فضلا عن الأثر الاجتماعية للتصنيع"^{١٦}.

وخلاصة لكل التعريفات السابقة يمكننا القول بأن علم الاجتماع التنظيم والعمل هو فرع من فروع علم الاجتماع العام يدرس العلاقة المتفاعلة بين الصناعة والمجتمع، أي يدرس الأسباب الاجتماعية والحضارية التي تكمن خلف ظاهرة الصناعة والتصنيع، ويدرس الآثار الاجتماعية التي تتركها الصناعة والتصنيع على الإنسان في البناء الاجتماعي.

٣- أهدافه:

يهدف علم الاجتماع تنظيم وعمل في الوقت الحاضر إلى تثبيت حدوده العلمية والمنهجية بينه وبين العلوم الاجتماعية الأخرى وبينه وبين فروع وتخصصات علم الاجتماع. كما يهدف إلى تطوير طرقه المنهجية التي تمكنه من جمع وتصنيف وتنظيم حقائقه ومعلوماته بحيث تزداد فرضياته ونظرياته وقوانينه الكونية التي تساعد على تفسير وتحليل ظواهره العلمية.

يهتم علم الاجتماع تنظيم وعمل بمقارنة النظم والتراكيب الرسمية وغير الرسمية في المصنع من حيث أسباب وجودها وأهميتها ودورها في أداء العمل الصناعي. فالنظم الرسمية في المصنع تكونها الإدارة والنظم غير الرسمية يكونها العمال.

يدرس علم الاجتماع تنظيم وعمل طبيعة الممارسات السلوكية التي يقوم بها عمال وإداريو المصانع.

^{١٦} طلعت إبراهيم لطفي: مرجع سابق، ص ٢٠.

يهتم علم الاجتماع بتنظيم وعمل بدراسة وتحليل أجواء المشاريع الصناعية من حيث سيطرة الروح التعاونية أو العدائية عليها.

يهدف علم الاجتماع تنظيم وعمل إلى دراسة النظم البيروقراطية في المصانع من ناحية قوانينها وهيكلها البنوي ووظائفها وشروط ظهورها وديمومتها وفوائدها ومضارها.

يهدف علم الاجتماع تنظيم وعمل إلى دراسة الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي تتركها الصناعة على النظم والمؤسسات الاجتماعية كالعائلة والقراية والزواج والثقافة والتربية والتعليم أنشطة الفراغ والترويج، القيم والمقاييس الاجتماعية، البناء الطبقي والانتقال الاجتماعي، التوازن السكاني والصفات الديموغرافية للمجتمع، الصفات الحضارية المادية وغير المادية، فعندما تؤثر الصناعة على هذه النظم الاجتماعية والحضارة فإنها تتغير من شكل لآخر، وهذا ما يؤدي بالمجتمع إلى التغيير والتطور.

يهدف علم الاجتماع تنظيم وعمل إلى دراسة المشكلات الاجتماعية والنفسية والحضارية التي تجابه العامل في المصنع كمشكلات العلاقة الصناعية انخفاض إنتاجية العامل، تدني نوعية الإنتاج ...، ويهدف أيضا إلى دراسة أسباب ومظاهر آثار المشكلات الاجتماعية الناجمة عن تصنيع المجتمعات كمشكلة الجريمة وجنوح الأحداث والانتحار وتناول المخدرات والطلاق وتفكك الأسرة وتحلل العلاقات الاجتماعية ويحاول في نفس الوقت علاج هذه المشكلات والوقاية منها.

ب-مجالاته:

هناك اختلاف حول تحديد مجال اهتمام هذا العلم حيث نجد أن (ميلر وفورم) أجمعا أن هناك مشاكل سوسولوجية كبرى تسود اليوم علم الاجتماع تنظيم وعمل هي التي تكون مجال اهتمام في نظرهم يتمثل في:

- أثر التصنيع في المجتمع وخاصة في مكوناته من مجتمعات محلية وتنظيمات عمل أخرى، على أن الاهتمام بهته المشكلة يؤدي إلى دراسة

المراحل المتباينة التي تمر بها عملية التصنيع في المجتمعات ذات النظم وأبنية القيم المختلفة.

- عملية التوافق بين التنظيم الرسمي مع تحديده الرشيد للمسؤوليات والأهداف، وبين التنظيم غير الرسمي للعاملين وحاجاتهم الفردية والجماعية.
- عملية التوفيق بين الحاجات الشخصية للعاملين ومصالحهم، وبين متطلبات مواقف العمل الرسمية في التنظيم ومنها التوافق الذي تتطلبه عملية الحراك المهني للعاملين بين مستويات المكانة المختلفة في تنظيم العمل.
- العمليات التنظيمية التي تدعم الروح المعنوية والإنتاجية فكرة وفكرة فريق العمل مثال: تطبيق فلسفات وأساليب القيادة التي تهدف إلى التنسيق بين أوجه النشاط على نحو رشيد، وتدفع في نفس الوقت العاملين وتلزمهم على المشاركة في أهداف التنظيم.

ويرى كولنسا وتوبرا مجالات اهتمام علم الاجتماع تنظيم وعمل فيما يلي:

- البناء الطبقي للعاملين في المصنع والصراع بين الطبقات والتغيرات في هذا البناء.
- الهجرة الجماعية للسكان الريفيين إلى المدن.
- التغير في الاتجاهات نحو العمل والمشروع الصناعي.
- ظاهرة التفكك المترتبة على التغير الصناعي.
- المشاركة في الحياة الاجتماعية والثقافية داخل المشروع الصناعي.
- خواص النسق الاجتماعي للمشروع الصناعي الذي تملكه الدولة والمشاكل الاجتماعية المترتبة على عمليات التأميم.
- عمليات اتخاذ القرار^{١٧}.

٤- نظرياته:

أ-الاتجاه البنائي الوظيفي في دراسة النظم: وأبرز نظريات هذا الاتجاه نجد:

^{١٧}إحسان محمد الحسن: علم الاجتماع الصناعي، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، سنة ٢٠٠٥،

-نظرية النسق الاجتماعي (لتالكوت بارسونز): لقد انطلق (بارسونز) من تصور التنظيم بوصفه نسقا اجتماعيا يتألف من أنساق فرعية مختلفة كالجماعات والأقسام... إلخ، وأن هذا التنظيم يعد بدوره نسقا فرعيا يدخل في إطار نسق اجتماعي أكبر وأشمل كالمجتمع، ثم حلل التنظيم بعد ذلك من وجهة نظر ثقافية نظاميا مؤكدا التوجهات القيمية السائدة في التنظيمات المختلفة فالنسق القيمي عنده في التنظيم هو الذي يحدد كل الظروف الداخلية والخارجية التي يواجهها التنظيم وهذا ما قصده حين تكلم عن التنظيم باعتباره نسق اجتماعي منظم أنشئ من أجل تحقيق أهداف محددة.

-نظرية المعوقات الوظيفية لروبرت ميرتون: أكد ميرتون منذ البداية على فكرة أساسية هي أن أعضاء التنظيم يستجيبون لمواقف معينة في إطاره، ثم يعممون هذه الاستجابة على مواقف مماثلة، وحينما يحدث ذلك تنشأ نتائج غير متوقعة أو غير مرغوب فيها بالنسبة للتنظيم، ثم أكد فيما بعد على أن التغيير الذي يطرأ على شخصية أعضاء التنظيم ينشأ عن عوامل كامنة في البناء التنظيمي ذاته وهذا الذي قدمه (ميرتون) يستند إلى ثلاث نقاط وهي: جمود السلوك، صعوبة التكيف مع مهام الوظيفة، الصراع الذي يمكن أن ينشأ بين أعضاء التنظيم وهي نقاط تفرض بطبيعتها درجة معينة من الضبط والموازنة ذلك لأن النتائج غير المتوقعة أو المعيقة تدعم في النهاية موقف أعضاء التنظيم.

ب-نظرية البيروقراطية المثالية: جاء بهذه النظرية (ماكس فيبر) الذي ميز بين ثلاث أشكال من السلطات أو بالأحرى أضاف إلى نوعين من السلطات المعروفة سابقا وهي السلطة التقليدية (كسلطة الأب عن أبنائه، أو كسلطة صاحب العمل عن العمال)، وسلطة الاستهواء وهي غالبا ما تنتج عن شخصية بارزة تستهوي الجماهير، سلطة ثالثة سميت بالسلطة العقلانية المشروعة، إن إحدى سمات هذا النظام البيروقراطي هو أن لا يتم تقييم العمال وجزائهم إيجابا أو سلبا إلا بالنظر إلى الأداء أو عدم أداء الوظيفة، أو النشاط الدقيق المنوط بهم داخل التنظيم، مما يحد من

السلطة التقديرية للمسؤول حيث يتم تقدير على أساس معايير موضوعية لا على أساس الذاتية، وهذا ما أطلق عليه بالبيروقراطية المثالية.

ج- المدرسة التaylorية نظرية الإدارة العلمية: تعتبر من إحدى المدارس التي تشترك مع التنظيم البيروقراطي في كثير من الخصائص. وتمتاز هذه النظرية بالأهداف النبيلة التي تسعى لتحقيقها والمتمثلة في التوفيق بين مسألتي ارتفاع أجور العمال والحد من الارتفاع المتزايد لتكاليف الإنتاج، وكان زعيم هذه المدرسة (فريدريك تايلور **Frederik Taylor**) الذي اهتم أساسا الوسائل المساعدة على توفير الجهد وحسن استغلاله وذلك عن طريق ضبط الإجراءات برفع إنتاجية الأفراد داخل التنظيم، هذه النظرية تهتم وتتطرق من كيفية العمل في الورشة وتحديد خطة العمل على المستوى البسيط، ودراسة كل وظيفة على حدى، وإيجاد التي تسهل عمليات تقديم الخدمات للأفراد والمؤسسات.

د- دراسة العلاقات الإنسانية: تعتبر نظرية العلاقات الإنسانية التي ابتكرها هؤلاء المفكرون من أهم النظريات المعاصرة في مجال التنظيم، وعلى رأسهم (التون مايو **Elton Mayo**) الذي من خلال الأبحاث التي قام بها (دراسات هاوثون) ومجموعة الدراسات الميدانية (١٩٢٧-١٩٣٢)، حاول اكتشاف بعض مظاهر السلوك التنظيمي مثل الدافعية، الروح المعنوية، تماسك الجماعة وعلاقة هذه المظاهر بالإنتاجية ومؤشراتها.

فتوصل إلى الاقتناع بما يلي: إن التخصص المفرط ليس الطريق الأكثر فاعلية من الناحية المردودية، إن عام التحفيز لا يرجع دائما إلى العوامل الاقتصادية أي المادة ولكن يستوجب أيضا وجود مناخ اجتماعي ملائم خاصة بالنسبة للعاملين الذين تمت تغطية حاجياتهم الفيزيولوجية أي الأساسية، ودرس من جهة أخرى (مايو) معظم مشاكل العمل الصناعي كالتعب والملل والقلق والتحفيز...^{١٨}.

أ- علاقة علم اجتماع التنظيم ببعض ميادين علم الاجتماع:

^{١٨} حسين عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص ٦٧.

لا شك أن هناك تداخلا واضحا بين ميداني علم الاجتماع الصناعي وعلم الاجتماع التنظيم، ويبدو هذا التداخل من خلال بعض التعريفات التي وضعها العلماء لعلم الاجتماع الصناعي وعلى سبيل المثال نجد (سميث) يعرف علم الاجتماع الصناعي بأنه دراسة العلاقات الاجتماعية داخل المصانع والمنظمات إلى جانب دراسة الأثير المتبادل بينها وبين المجتمع المحلي، ونلاحظ هذا التعريف يجعل ميدان علم الاجتماع الصناعي أكثر شمولا واتساعا، بحيث يشمل دراسة العلاقات الاجتماعية داخل التنظيمات الصناعية وغير الصناعية ويرى إترزيوني أنه يمكن اعتبار علم الاجتماع الصناعي فرعا من فروع علم الاجتماع التنظيم وذلك على اعتبار أن النظرية التنظيمية على درجة عالية من النمو والتكامل بحيث تصلح كموجة للبحوث التي تجرى على التنظيمات الصناعية.

وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين ميداني علم الاجتماع التنظيم وعلم الاجتماع الصناعي، ويرى العالمان (فروم) و(ميللر) أن علماء الاجتماع كانوا يوجهون أكثر اهتمامهم نحو دراسة بعض أنماط من التنظيمات مثل المصانع، أو البنوك، والتنظيمات التي تحقق منفعة عامة.

ب- علاقة علم اجتماع التنظيم بعلم الاجتماع المهني:

نجد أن هناك درجة من التقارب والاعتماد المتبادل بين علم اجتماع التنظيم وعلم الاجتماع المهني وقد يكون هذا التداخل ناجما عن أن علم الاجتماع المهني يشكل كما يرى العالمان (نوسو) و(فورم) مجالا فرعيا مستقلا داخل علم الاجتماع الصناعي. ويهتم علم الاجتماع المهني بدراسة خمسة موضوعات أساسية هي: دراسة المهن الفردية ودراسة البناء المهني، ودراسة العلاقة بين المهن الفردية أو البناء المهني وبين الجوانب العامة للبناء الاجتماعي ودراسة العلاقة بين العمل وبين بعض الظواهر الاجتماعية مثل وقت الفراغ والتقاعد والبطالة، وأخيرا دراسة إحدى المهن لإلقاء الضوء على إحدى مشكلات المجتمع.

وبالرغم من هذا الارتباط الواضح بين علم الاجتماع المهني وبين علم الاجتماع الصناعي إلا أنه يمكن النظر إلى ميدان علم الاجتماع المهني على اعتبار أنه يمثل ميدانا مستقلا عن البحث في علم الاجتماع الصناعي...^{١٩}.

^{١٩} طلعت إبراهيم لطفي: مرجع سابق، ص ٢٠-٢٤.